ولكن قصيدته تقول نقيض ذلك وتفضح الشاعر ونتقض عليه. وشهادة البحتري هنا شهادة زائفة ومزورة. وكل ما عدا البيت السابع يشير إلى ممدوح باغٍ ومعتدٍ.

ولئن كان الفتح بن خاقان قد دفع جائزة ثمينة للبحتري على هذه القصيدة، فلا بد أنه قد دفع ماله على بضاعة مغشوشة.

كما أن الأسد ـ هنا ـ قد مات ميتة رخيصة مثلما عاش حياة رخيصة، وظهر بليداً فاتراً. فهذا الأسد لم يصارع ولم يقاتل ولم يطارح. وكان قد عاش في ر خاء ودعة. يلاعب الأقحوان ويتسلى بتحديد الناب والمخلب، وإذا ما شاء غادى عانة أو اصطاد من الغزلان والبقر يأكل ما يريد ويجر إلى أشباله ما لا يريد. هذه حياة رخاء عاشها أسد البحتري على ضفاف نهر نيزك حيث الرياض المعشبة والأباطح المزهرة (قارن الأبيات من الثاني حتى السادس).

وإذا ما باغتته لقيا الممدوح فإنه يتحول إلى (مفعول به) من أول النص إلى نهايته، لا يجالد ولا ينافح ولا يواثب.

وإذا ما مات فإنه يموت رخيصاً.

* * *

إن البحتري حينما اختار لنفسه أن يكون رمزاً للعمودية، تجسدت عموديته في تركيزها الشديد على الجانب النظمي الغنائي في القصيدة، فغنى وكان قد أراد أن يشعر. وجاء همّه منصبّاً على الإيقاع من جهة وعلى وحدة البيت وتكامله في معناه وفي مبناه